

الله .. محبة

«أيها الأحياء : لنحب بعضنا بعضاً - لأن المحبة هي من الله . وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله . ومن لا يحب لم يعرف الله .. لأن الله محبة .»

(رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤ : ٧-٩)

obeikandi.com

هنا نصافح رسول السلام ، في موكب السلام الذي نشره في العالمين ..

نشره في الدنيا التي كانت تمزّقها أهواء الأباطرة جرياً وراء المزيد من التوسّع والغلبة والنفوذ ! نشره في الدنيا التي كانت تمزّقها - في الدولة الواحدة - خلافات الحاكم مع المحكوم ، ويمزّقها - في صفوف الحاكمين أنفسهم - صراع الكبراء على السطوة والسلطان ، وتمزّقها - في صفوف المحكومين مع بعضهم بعضاً - فوارق الطبقات وفوارق القوميات وفوارق الطوائف ، وتمزّقها - بين الحاكمين والمحكومين - من المظالم والفتن صنوف وألوان !!

حتى بني إسرائيل ، الذين جمعتهم الأنساب وجمعتهم النبوات المتعاقبة المتلاحقة .. رفعوا بأيديهم سياط الفرقة والشقاق لأنفسهم وللناس ..

«وكان حاضراً في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط ببلاطس دمهم بذبائحهم ، فأجاب يسوع وقال لهم : أتظنون أنّ هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كلّ الجليليين لأنّهم كابدوا مثل هذا ؟ كلا أقول لكم : بل إن لم تتوبوا فجميعكم تهلكون ! وأولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سلّوام وقتلهم - أتظنون أنّ هؤلاء كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين في أورشليم ؟ كلا أقول لكم : بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون !!» (لوقا ١٣ : ١-٦) .

في ركاب من الخطايا والذنوب ، والبلايا والمحن ، والدماء والأشلاء .. جاء المسيح .

«ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل ...

فلما جلس ، تقدّم إليه تلاميذه - ففتح فاه وعلمهم قائلاً :

طوبى للمساكين بالروح ، لأنّ لهم ملكوت السموات ! ... طوبى للحزاني ،
لأنهم يتعزّون ! .. طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض ! طوبى للجياع والعطش
إلى البر ، لأنهم يشبعون ! .. طوبى للرحماء ، لأنهم يُرحمون ! .. طوبى للأتقياء
القلب ، لأنهم يعاينون الله ! .. طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله
يُدعَوْنَ! .. طوبى للمطرودين من أجل البر ، لأنّ لهم ملكوت السموات !
طوبى لكم إذا عبّروكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة - من أجلي - كاذبين !
افرحوا وتهلّلوا ، لأنّ أجركم عظيم في السموات ، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء من
قبلكم !!

سمعتم أنه قيل : تحبّ قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبّوا
أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلّوا لأجل الذين
يسيئون إليكم ويطردونكم - لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات ، فإنّه
يشرق شمس على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين !! لأنّه إن
أحببتم الذين يحبونكم - فأيّ أجر لكم ؟ أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ؟ وإن
سلّمتم على إخوتكم فقط - فأيّ فضل تصنعون ؟ أليس العشارون أيضاً يفعلون
هكذا ؟ فكونوا أنتم كاملين - كما أنّ أباكم الذي في السموات هو كامل ، « من
ضربك على خدّك الأيمن فاعرض له الآخر أيضاً ، ومن أخذ رداءك فلا
تمنعه ثوبك أيضاً ، وكلّ من سألك فأعطه ، ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه ،
وكما تريدون أن يفعل الناس بكم - افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا ... وإن
أحببتم الذين يحبونكم - فأيّ فضل لكم ؟ فإنّ الخطاة أيضاً يُحبّون الذين
يحبونهم ... وإذا أحستتم إلى الذين يحسنون إليكم - فأيّ فضل لكم ؟ فإنّ
الخطاة أيضاً يفعلون هكذا .. وإن أقرضتم الذين ترجون أن تشتروا منهم -
فأيّ فضل لكم ؟ فإنّ الخطاة أيضاً يُقرضون الخطاة لكي يستردّوا منهم المثل ..
بل أحبّوا أعداءكم ، وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم

عظيماً ، وتكونوا بنى العليّ فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار !! فكونوا
رحماء - كما أن أباكم أيضاً رحيم» (مت ٥: ١-١٢، ٤٣-٤٨، لو ٦: ٢٩-٣٦) .

دعوة الحب والرحمة .. دعوة الكرم والسماحة .. من رسول سمح رحيم .

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] !!

لقد رأينا بنى إسرائيل - في الإطار التاريخي الذي قدّمناه - وأفتهم التناول
والادّعاء والجمود عند المظاهر والشكول .

كانوا (حرفيين) (طقوسيين) ، يملؤهم الزهو بأنهم شعب الله المختار ! فأثّرت
لهذه القلوب أن تخالطها دعوة الحبّ الصافية الخالصة ، دعوة الرحمة الكريمة
السامية؟؟

كان مفهوم الدين عندهم أن يُقتل المخالفون لأدنى شبهة ، أن يهلك العابدون
في تزوّت المراسم وجمود التقاليد .. كانت صورة الإله في مخيلتهم - تعالى عن ذلك
علوّاً كبيراً - وحشاً شاربياً لا يرضى بغير مزيد من الدماء ... وكان لا بدّ أن يصحّح
هذا الفهم المنكوس ، لتعرف السماحة طريقها لتلك القلوب .. القلوب المتشبهة
للقذف بالخطيئة واتهام السريرة والولوغ في الحرمات : ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ
شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧] .

وبدأت كلمات المسيح تنساب كالغدير الصافي الرقاق : «ليس كلّ من يقول لي
يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات ...
كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم : يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك
أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟؟ فحيثذ أصرّح لهم : إني لم أعرفكم
قط ، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم» (مت ٧: ٢١-٢٣، لو ٦: ٤٦) !!

فليست العبرة بالدعاوى العريضة الرئانة يوم الجزاء .. وليست مدائح الناس
بالتى تغنى يوم يقوم الأشهاد ...

«احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم ، وإلا فليس
لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات ... فمتى صنعت صدقة فلا تُصوت قدامك
بالبوق كما يفعل المراءون في الجامع وفي الأزقة لكي يُمجّدوا من الناس ، الحق
أقول لكم : إنهم قد استوفوا أجرهم . وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف
شمالك ما تفعل يمينك ، لكي تكون صدقتك في الخفاء ، فأبوك الذي يرى في الخفاء
هو يجازيك علانية» (مت ٦ : ١-٤) .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ
رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ
وَإِبِلٌ فَفَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٧١﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ آتِبِعَاءَ مَرْضَاتٍ لِلَّهِ وَتَنَبِيئًا مِّنْ
أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حِنَّةٍ بَرْتَوَةٌ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ
فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٧٢﴾ إِن تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَبِعَمَّا هِيَ وَإِن
تُخْفَوَهَا وَتُؤْتَوَهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧١] .

والمسيح يعنى على الصلف والغرور في هجوم سافر مكشوف ...

«لا تدينوا لكي لا تُدانوا ، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون ، وبالكيل
الذي به تكيلون يُكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك ، وأما الخشبة
التي في عينك فلا تفتن لها؟ أم كيف تقول لأخيك : دعني أخرج القذى من عينك ،
وها الخشبة في عينك؟؟ يا مرائي ، أخرج أولاً الخشبة من عينك ، وحيثذ تبصر
جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك!!»

«وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه ، بينك وبينه وحدكما ... وإن سمع منك فقد ربحت أخاك ، وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين - لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة .. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار .

... فالحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء ! وقول لكم أيضاً : إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات ، لأنه حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون وسطهم » (مت ٧ : ١-١٨ ، ١٥-٢٠ ، لو ٦ : ٣٧-٤٢) .

إن الله لا يكون في الهيكل وحده ، ولا يشهد الطقوس والمراسم وحسب :

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس : ٦١] ، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة : ٧] .

«حينئذ تقدم إليه بطرس وقال : يا رب كم مرّة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له - هل إلى سبع مرات ؟ قال له يسوع : لا أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة سبع مرات !! لذلك يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبده ، فلما ابتداء في المحاسبة قدّم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة ، وإذ لم يكن له ما يوفي - أمر سيده أن يباع هو وامراته وأولاده وكل ما له ويوفي الدين . فخرّ العبد وسجد له قائلاً : يا سيد تمهل فأوفيك الجميع ، فتحنّن سيد ذلك العبد وترك له الدين ..

ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقاءه مديوناً له بهائة دينار ، فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً : أوفني مالي عليك .. فدعاه حيثئذ سيده وقال له : أيها العبد الشرير ، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليّ ، أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا ؟ وغضب سيده وسلّمه إلى المعذّبين حتى يوفي كل ما كان له عليه ... فهكذا أبى السموي يفعل بكم إن لم تركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلّاته » (مت ١٨ : ٢١-٣٥ ، لو ١٧ : ٣-٤) !

وليس للسّاحة حدود ..

إنّ القلب السّامح لا يتأتى له أن يحدّد لنفسه حدود سّاحته : ﴿أَدْفَعْ بِأَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون : ٩٦] ، «صل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وقل الحق ولو على نفسك»^(١) .

ذلك أنّ السّاحة إذا تشرّبتها النفس فلن تتكلّفها بعد : «لأنّه ما من شجرة جيّدة تثمر ثمراً رديّاً ولا شجرة ردية تثمر ثمراً جيّداً ، لأن كلّ شجرة تُعرف من ثمرها ، فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العليق عنباً . الإنسان الصّالح من كنز قلبه الصّالح يخرج الصّلاح ، والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلّم فمه » (لو ٦ : ٤٣-٤٥) !

حقّاً : (إذا صلح القلب صلح الجسد كله)^(٢) ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧] .

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣) وَالَّذِينَ بَيَّتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا^(٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

١ - الحديث صححه السيوطي .

٢ - الحديث في مفتاح كنوز السنة لفنسنك أنه مروى في البخاري ومسنَد الطيالسي .

أَصْرَفْنَا عَنْكَ عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٦﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٩﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُذُ فِيهِمْ مَهَاتًا ﴿٧٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْزِنُوا عَلَيْهَا صُغًا وَعُمِيَانًا ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرَبُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٧﴾ ﴿الفرقان: ٦٣ - ٧٦﴾ .

وامتحت دعوة المحبة أول أمرها في المجتمع الصغير مجتمع التلاميذ ...

«حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها ، وسجدت وطلبت منه شيئاً ، فقال لها : ماذا تريدين ؟ قالت له : قل أن يجلس ابناي هذان ، واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوت .. فقال لها : أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان ، وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعدّهم من أبي ..

فلما سمع العشرة اغتاضوا من أجل الأخوين !! فدعاهم يسوع وقال : أنتم تعلمون أنّ رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم - فلا يكون هكذا فيكم ... بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً - كما أنّ الإنسان لم يأت ليخدم ، بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثير» (مت ٢٠: ٢٠-٢٨ ، مر ١٠: ٣٥-٤٥) .

إن مقعد الصدق بجوار المسيح أغرى القوم بالتنافس ، فنسوا وصية المسيح بالتواضع : «وقال للمدعوين مثلاً - وهو يلاحظ كيف اختاروا المتكئ الأول قائلاً له : متى دعيت من أحد إلى عرس فلا تتكئ في المتكأ الأول ولعل أكرم منك يكون قد دعى منه ، فيأتي الذي دعاك وإياه ويقول لك : أعط مكاناً لهذا ! فحينئذ تبتدىء بخجل تأخذ الموضع الأخير !! بل متى دعيت ، فاذهب وأتكئ في الموضع الأخير ، حتى إذا جاء الذي دعاك يقول لك : يا صديق ، ارتفع إلى فوق ! حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك ، لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (لو ١٤ : ٧-١١) .

ولطالما أوصى المسيح بالتضحية والفداء ، ولكن العشرة لم يتناسوا ذواتهم إزاء ما أحرزه صاحباهم من سبق .. والاثنى عشر قد حرصوا جميعاً على تبين منازلهم في دار الجزاء : «فأجاب بطرس حينئذ وقال : ها نحن قد تركنا كل شيء و تبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم : أنتم الذين تبعتموني في التجديد ، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده - تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر . وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي - يأخذ مائة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية » .

ويذكر في تفسير عبارة (أسباط إسرائيل الاثني عشر) - أنها تعني الشعوب كافة : «لأن إسرائيل الله الحقيقي ما هو إلا الكنيسة ، التي تضم - إن لم يكن بالفعل ، فكحق - جميع شعوب الأرض قاطبة » . أما (عهد التجديد) فهو آخر الأيام ، حيث ستجدد الطبيعة كلها ، على ما جاء في سفر الرؤيا (٢١ : ٥) : «ها أنا أجعل كل شيء جديداً» .

ولم يدعهم المسيح يتواكلون : «ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرين أولين » ، «وكانت بينهم مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر ؟ فقال لهم : ملوك الأمم يسودونهم ، والمتسلطون عليهم يدعون محسنين ، وأما أنتم فليس هكذا ، بل

الكبير فيكم ليكن كالأصغر ، والمُتقدِّم كالخادم - لأن من هو أكبر : الذي يتكئ أم الذي يخدم ؟ أليس الذي يتكئ ؟ ولكني أنا بينكم كالذي يخدم . أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي ، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً ، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي ، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر « (مت ١٩ : ٢٧-٣٠ ، مر ١٠ : ٢٨-٣١ ، لو ١٨ : ٢٨-٣٠ ، ٢٤-٢٩) ^(١) .

ونحن نجد القرآن كذلك يَعِدُ المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ مَخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوَتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٠] ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٠٠] وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٢١] .

فإذا انتقلنا من مجتمع التلاميذ إلى مجتمع اليهود ، رأينا من المفارقات عجباً .. لقد قدّمنا في (الإطار التاريخي) إجمالاً لطوائف بني إسرائيل ، يعطي صورة من هذا المجتمع المتشاحن المتناحر ، الذي لم يلمّ شعبه نسب ولا دين ! .

وإنجيل يوحنا بالذات حافل بشواهد الأناية الطائفية والقومية عند هؤلاء «... فيلبس وجد نثنائيل ، وقال له : وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء - يسوع بن يوسف الذي من الناصرة . فقال له نثنائيل : أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟؟ » ، « فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء ، فقال لها

١ - لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ٣٥ .

يسوع : أعطيني لأشرب .. فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية - لأن اليهود لا يعاملون السامريين !!! ... قالت له المرأة : يا سيد أرى أنك نبي ، أبأؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون : إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه ! قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب ، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون ، أما نحن فنسجد لما نعلم ، لأن الخلاص هو من اليهود ، ولكن تأتي ساعة - وهي الآن - حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له !! الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا « (يو : ٤٥ ، ٤٦ ، ٣ : ٥ - ٢٦) !!

هذه هي الروحانية الغامرة والإنسانية الرفيعة ، التي أقبلت تنير سراديب الطائفية والشكلية .. «الروح هو الذي يحيي ، أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة » (يو : ٦ : ٦٢) !!

حقاً ما أكبر الفرق بين هذه الروح الخالصة وبين القوالب الجامدة : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

«وكان في الجموع مفاجأة كثيرة من نحوه : بعضهم يقولون : إنه صالح ، وآخرون يقولون : لا بل يضلّ الشعب . ولكن لم يكن أحد يتكلم عنه جهاراً لسبب الخوف من اليهود ... فتعجب اليهود قائلين : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلّم ، أجاهم يسوع وقال : تعليمي ليس لي ، بل للذي أرسلني . إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم : هل هو من الله أم أتكلّم أنا من نفسي ؟ من يتكلّم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم» (يو : ١٢ - ١٨) .

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٤﴾﴾ [الشورى : ٥٢ ، ٥٣] .

وظل اليهود يتغامزون ويتهامسون : «فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزعم أن يذهب حتى لا نجده نحن ؟ أعلّله مزعم أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويُعلم اليونانيين» ؟؟ .

«فَتَشَّ وانظر ، إنه لم يقم نبي من الجليل» (يو ٧ : ٣٥ ، ٥٢) !

«فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به : إنكم إن ثبتتم من كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذ ، وتعرفون الحق ، والحق يحرككم ... أجابوه : إننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبد لأحد قط ، كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحراراً ؟ أجابهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : إن كل من يعمل الخطيَّة هو عبد للخطيَّة ... لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلّمكم بالحق الذي سمعته من الله ، هذا لم يعمله إبراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم !! فقالوا له : إننا لم نولد من زنا ، لنا أب واحد هو الله . فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني ، لأنني خرجت من قبَلِ الله وأتيت ، لأنني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني .. أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ... فإن كنت أقول الحق ، فلماذا لستم تؤمنون بي ؟ الذي من الله يسمع كلام الله ، لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله ... إن كنت أجد نفسي فليس مجدي شيئاً ، أبي هو الذي يمجدني - الذي تقولون أنتم أنه إلهكم - ولستم تعرفونه ، وأما أنا فأعرفه ، وإن قلت إنني لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً ، لكنني أعرفه وأحفظ قوله . أبوكم إبراهيم تهلّل بأن يرى يومي فرأى وفرح ... فرفعوا حجارة ليرجموه» (يو ٨ : ٣٠-٥٩) !!!

لقد فزعت العقلية الضيقة المغلوبة في الجدل ، المحجوجة بالبرهان - إلى
الطوب والحصى ، تكمل به المناقشة !!

«فدعوا ثانية الإنسان الذي كان أعمى وقالوا له : أعط مجدًا لله ، نحن نعلم أن
هذا الإنسان خاطئ !

فأجاب ذاك وقال : أخطئ هو ؟ لست أعلم ، إنما أعلم شيئاً واحداً ، أني كنت
أعمى والآن أبصر !! ... أعلِّمكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ، فشموه
وقالوا: أنت تلميذ ذلك ، وأما نحن فإننا تلاميذ موسى . نحن نعلم أن موسى
كَلَّمَهُ اللهُ ، وأما هذا فلا نعلم من أين هو ؟؟ فأجاب الرجل وقال لهم : إن في هذا
عجباً . إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عيني ، ونعلم أن الله لا يسمع
للخطاة ، ولكن إن كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع ! منذ الدهر لم
يُسمع أن أحداً أفتح عيني مولود أعمى !! لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل
شيئاً . أجابوا وقالوا له : في الخطايا ولدت أنت بجملتك ، وأنت تُعلِّمنا !!
فأخرجوه خارجاً» (يو ٩ : ٢٤-٣٤) !

أخرجوه خارجاً ... هكذا حلّوا الإشكال ، ودسّوا رؤوسهم في الرمال !!

إنهم تلاميذ موسى وكفى ، وهم الأخبار والكهّان الذين لا يتلقون علماً من
سواد الناس ! ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن
تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ ١٥٠ وَأَلَّهٖ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ١٥١ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ١٥٢ مِّنَ
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ يُرْكُونَ أَنفُسَهُمْ بِلِلَّهِ يُرْسِكِي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ١٥٣ أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ١٥٤ أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ١٥٥
فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ١٥٦ إِنَّ الَّذِينَ

يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٤٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴿١٤٣﴾ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٤٥﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٦﴾ فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٤٧﴾ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴿النساء : ٤٤ - ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠﴾ .

«فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا ، وقالوا : ماذا نصنع ؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ! إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا» (يو ١١ : ٤٧-٤٨) !! «وكان أناس يونانيون من الذين صعدوا ليسجدوا في العيد ، فتقدم هؤلاء إلى فيلبس الذي من بيت صيدا الجليل ، وسألوه قائلين : يا سيد ، نريد أن نرى يسوع . فأتى فيلبس وقال لأندراوس ، ثم قال أندراوس وفيلبس ليسوع ، وأما يسوع فأجابها قائلاً . قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان . الحق الحق أقول لكم : إن لم تقع حبة الخنطة في الأرض وتمت ، فهي تبقى وحدها ! ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير ! من يحب نفسه يهلكها ، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية» (يو ١٢ : ٢٠-٢٥) ...

إن بني إسرائيل يشفقون على ذهاب سلطانهم ... يشفقون من دعوة المحبة المسيحية أن تهدم العصبية ، وتأخذ طريقها إلى اليونان والرومان ، وإلى غير اليونان والرومان .. ولكن هل يستطيع القوم بعنادهم وجودهم وضيق أفقهم أن يعترضوا مجرى التاريخ ؟؟ «لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطي لأمة تعمل أثماره» (مت ٢١ : ٤٤) !!

«ماذا تظنون ؟ كان لإنسان ابنان : فجاء إلى الأول وقال : يا ابني اذهب اليوم اعمل في كرمي . فأجاب وقال : ما أريد ، ولكنه ندم أخيراً ومضى . وجاء إلى الثاني وقال كذلك ، فأجاب وقال : ها أنا يا سيّد ولم يمض . فأبى الاثنان عمل إرادة الأب ؟ قالوا له : الأول . قال لهم يسوع : الحق أقول لكم : إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله ، لأنّ يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به ، وأما العشارون والزواني فآمنوا به ، وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به !

اسمعوا مثلاً آخر : كان إنسان رب بيت غرس كرماً : أحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبني برجاً وسلّمه إلى كرامين وسافر ، ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده ، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً . ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ، ففعلوا بهم كذلك . فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً : يهابون ابني . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوراثة : هلّم نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها !! قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البنّاءون هو قد صار رأس الزاوية - من قبل الرّب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا .. ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنّه تكلم عليهم ، وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه

خافوا من الجموع - لأنه كان عندهم مثل نبي « (مت ٢١ : ٢٨-٤٦ ، مر ١٢ : ١-١٢ ، لو ١٩ : ١٩-١١) !!

﴿قُلْ يَتَّيِبُوا أَلْبَابَهُمُ الَّذِينَ هَادُوا وَإِن رَعَمْتُمْ أَنكُمُ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ؕ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الجمعة : ٦ - ٨] .

هكذا تلقى مجتمع التلاميذ ، ومجتمع اليهود دعوة المحبة المسيحية ...

أما مجتمع التلاميذ فسار على الدرب ، ولئن تعثر خطوات فقد عوضها وتقدم أشواطاً ، وكل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون ..

أوصاهم المسيح وحدد لهم مهمتهم : «هؤلاء الاثنا عشر - أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا .. وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا .. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ! وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السموات ! اشفوا مرضى ، طهروا برصاً ، أخرجوا شياطين ! مجاناً أخذتم ، مجاناً أعطوا ! لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصاً ، لأن الفاعل مستحق طعامه . وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا : من فيها مستحق ، وأقيموا هناك حتى تخرجوا . وحين تدخلون البيت سلموا عليه ، فإن كان البيت مستحقاً فليأت سلامكم عليه ، ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم إليكم . ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم . الحق أقول لكم : ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة » ، «فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا ، وأخرجوا شياطين كثيرة ، ودهنوا بزيت مرضى كثيرين - فشفوهم » (مت ١١ : ١٠-١٥ ، مر ٧ : ١٢-١٧ ، لو ٩ : ١-٦) .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور: ٢٧ - ٢٩] ، ﴿... فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١] .

وتجاوزت الرسالة بعد ذلك حدود بني إسرائيل ، وانطلق رسل المسيحية في أنحاء العالم الروماني يبشرون برسالة المحبة ... «سلاماً أترك لكم . سلامي أعطيكم» (يو ١٤ : ٢٧) .

وكانت لهم كلمات رائعة يؤسسون بها صرح المحبة في مختلف أرجاء الأرض ..

كانت وصية المسيح منقوشة على صفحات قلوبهم : «أنا الكرمة وأنتم الأغصان . الذي يثبت فيّ وأنا فيه ، هذا يأتي بثمر كثير ، لأنكم بدوني لا تقدرُونَ أن تفعلوا شيئاً . إن كان أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن - فيجف ويطرحونه في النار فيحترق . إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم ، بهذا يتمجد أبي - أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي . كما أحبني الأب كذلك أحببتكم أنا . اثبتوا في محبتي . إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت فيّ محبته . كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ، ويكمل فرحكم .

هذه هي وصيتي : أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم . ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه . أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به .

لا أعود أسمىكم عبيداً ، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيّده ، لكنني قد سميتكم أحبّاء
لأنّي أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي . ليس أنتم اخترتموني ، بل أنا اخترتكم
وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم ، لكي يعطيكم الأب كل ما طلبتم
باسمي - بهذا أوصيكم ، حتى تُحِبُّوا بعضكم بعضاً » (يو ١٥ : ٥-١٧) .

فتغنى التلاميذ على قيثاره الحب ، بألحان من وحي معلمهم : « فالذين تشبّثوا ،
جالوا مبشرين بالكلمة » (أعمال ٨ : ٤) ...

كتب بولس في رسالته إلى أهل رومية : « فإنّه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة
ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد ، هكذا نحن الكثيرين - جسد واحد في
المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كلّ واحد للآخر ، ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب
النعمة المعطاة لنا ... المحبة فلتكن بلا رياء ، كونوا كارهين الشر ، ملتصقين بالخير ،
وآدين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية ، مقدّمين بعضكم بعضاً في الكرامة .. عاكفين
على إضافة الغرباء . باركوا الذين يضطهدونكم . باركوا ولا تلعنوا .. لا تُجازوا
أحداً عن شرّ بشر ... إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس . لا تنتقموا
لأنفسكم أيها أحبّاء ، بل أعطوا مكاناً للغضب ، لأنّه مكتوب لي النعمة أنا أجازي
- يقول الرب . فإن جاع عدوك فأطعمه ، وإن عطش فاسقه . لأنّك إن فعلت هذا
تجمع جمر نار على رأسه . لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير » (رومية ١٢ : ٤-٦ ،
٩-١٠ ، ١٣-١٤ ، ١٧-٢١) .

وفي رسالة بطرس الرسول الأولى : « ... أي مجد هو إن كنتم تُلَطِّمُونَ مخطئين
فتصبرون ؟ بل إن كنتم تتألمون عالمين الخير فتصبرون - فهذا فضل من عند الله ،
لأنكم لهذا دُعيتم . فإنّ المسيح أيضاً تألم لأجلنا ، تاركاً لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته ،
الذي لم يفعل خطيئة ولا وُجد في فمه مكر ، الذي إذا سُتِمَ لم يكن يشتم عوضاً ، وإذا
تألم لم يكن يهدّد ، بل كان يُسَلِّم لمن يقضي بعدل » (ابطرس ٢٠-٢٣) .

وضمّن يوحنا رسالته الأولى هذه الفقرات الغالية : «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة ، لأننا نحبّ الإخوة . من لا يحبّ أخاً يبقى في الموت . كلّ من يبغض أخاه فهو قاتل نفس ، وأنتم تعلمون أنّ كلّ قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه . بهذا قد عرفنا المحبة أنّ ذلك وضع نفسه لأجلنا ، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة ، وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشائه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه ! يا أولادي لا نحبّ بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق ... أيها الأحباء لنحبّ بعضنا بعضاً ، لأنّ المحبة هي من الله ، وكل من يحبّ فقد وُلد من الله ويعرف الله ، ومن لا يحبّ لم يعرف الله - لأنّ الله محبة . بهذا أظهرت فينا أنّ الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به .. أيها الأحباء إن كان الله قد أحبّنا هكذا ، ينبغي لنا أيضاً أن يحبّ بعضنا بعضاً ... إن أحب بعضنا بعضاً ، فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا ... بهذا تكملت المحبة فينا ، أن يكون لنا ثقة في يوم الدين ... لا خوف في المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج !! ... نحن نحبه ، لأنه هو أحبّنا أولاً . إن قال أحد إنني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب ، لأنّ من لا يحبّ أخاه الذي أبصره ، كيف يقدر أن يحبّ الله الذي لم يبصره ؟؟ » (١ يوحنا : ٣ : ١٤-١٨ ، ٤ : ٧-٢١) .

وجاء في رسالة يعقوب : «من أين الحروب والخصومات بينكم ؟ أليست من هنا - من لذاتكم المحاربة في أعضائكم ؟ ... لا يذمّ بعضكم بعضاً أيها الإخوة ، الذي يذمّ أخاه ويدين أخاه يذمّ الناموس ويدين الناموس ... واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك ، فمن أنت يا من تدين غيرك ؟ ... أيها الإخوة ، إن ضلّ أحد بينكم عن الحق فردّه أحد ، فعليكم أن من ردّ خاطئاً فعن خلال طريقه يُخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا » (يعقوب : ٤ : ١-٢ ، ١١-١٢ ، ٥ : ١٩-٢٠) .

هذه هي الرسالة الإنسانية التي ضاقت عنها بني إسرائيل ، فانطلقت لتنير للعالم كله السبيل ...

إن بطرس يعتز بنزعه الإنسانية العالمية ، فيقول لقائد المائة (كرنيليوس) من الكتيبة الإيطالية من قيصرية : «أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي ، أو يأتي إليه ! وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنّه دنس أو نجس ! » (أعمال ١٠ : ٢٨) .

وحاول الحرفيون الطقوسيون أن يناضلوا عن كيانهم بالشغب والتشويش ! كذلك فعلوا مع بولس ، عند عودته إلى أورشليم بحد رحلته التبشيرية في أوروبا : «... رآه اليهود الذين من آسيا في الهيكل ، فأهجوا كلّ الجمع وألقوا عليه الأيادي - صارخين : أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا ، هذا هو الرجل الذي يعلمّ الجميع في كلّ مكان ضدّاً للشعب والناموس وهذا الموضوع ، حتى أدخل يونانيين إلى الهيكل ودنّس هذا الموضوع المقدّس ، لأنهم كانوا قد رأوا معه في المدينة تروفيمس الإفسسي فكانوا يظنون أن بولس أدخله إلى الهيكل . فهاجت المدينة كلها ، وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجرّوه خارج الهيكل... » (٢١) : ٢٧-٣٠) .

لكنّ اتجاه الريح سار على غير هوى أولئك اليهود : «وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جدّاً في أورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيوان» ، «وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام ، وكانت تبنى وتسير في خوف الرب ، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » ، «فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية أنّ الأمم أيضاً قبلوا كلمة الله» ، «وكان - بولس - يجاّج في المجمع كل سبت ويقنع يهوداً ويونانيين» (أعمال ٦ : ٩،٧ : ٣١، ١١، ١٨، ٤) !

وعبثاً حاول دعاة العصبية والطائفية إيقاف تيار المحبة الغامر ...

«وفي السبت التالي اجتمعت كل المدينة - أنطاكية بيسيدية - لتسع كلمة الله ، فلما أرى اليهود الجموع امتلأوا غيرة ، وجعلوا يقاومون ما قاله بولس ومناقضين ومُجذِّفين . فجاهر بولس وبرنابا وقالوا : كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله ، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية - هوذا نتوجه إلى الأمم ، لأنّ هكذا أوصانا الرب : قد أقمتك نورا للأمم لتكون خلاصاً إلى أقصى الأرض . فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويُمجِّدون الرب ، وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية ، وانتشرت كلمة الرب في كل الكورة » (أعمال ١٣ : ٤٤-٤٩).

ولم يكن المبشرون بالمسيحية يقصرون جهودهم على مجامع اليهود حيث ينزلون وأينما يرحلون : «فوقف لويس في وسط أريوس باغوس ، وقال : أيها الرجال الأثينيون ، أراكم من كل وجه كأتكم متدينون كثيراً ، لأنني بيننا كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه : لإله مجهول !! فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به - الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا ، هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي ، ولا يُخدم بأيادي الناس كأنه محتاج إلى شيء - إذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء ، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون كل وجه الأرض . وحتّم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم ، لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه- مع أنّه عن كل واحد منا ليس بعيداً » (أعمال ١٧ : ٢٢-٢٧) .

لقد نجحت رسالة المحبة بين التلاميذ ...

ثم أشاعها دعاة المسيحية في مختلف الأقطار وبين شتى الأقوام .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ حُنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف : ١٤] .

أما بنو إسرائيل فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم عقولهم
وأنفسهم ، فانطوا لا يريدون أن يفتحوا نافذة على شيء خارج الهيكل والطقوس ،
أو خارج حروف الناموس ..

وغلت صدورهم بالحقد ، وعجزت ألسنتهم عن البرهان ... فلم يكن مُتَنَفِّسٌ
لسخائهم إلا في العدوان !

وكان المسيح نفسه - موقناً من مصيره على أيدي القتلة والسفّاكين ، الذين
تعدّدت سوابق جرائمهم مع الأنبياء والمرسلين

ولكنه كان يذوب شفقة على أورشليم ، وإن كان أهلها قد تربصوا به الشر :
« وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً : إنك لو علمت أنت أيضاً
حتى في يومك هذا ما هو لسلامك ؟ ولكن الآن قد أخفى عن عينيك ! فإنه
ستأتي أيام ، ويحيط بك أعداؤك بمرسة ويُمدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ،
ويهدمونك - ونيبّك فيك - ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفي
زمن افتقادك » (لو ١٩ : ٤١-٤٤) .

وهو موقف يُدَكِّرُ بشيبهه لرسول الإسلام وهو يودّع مكة مهاجراً فيقول : « الله
يعلم أنك أحبّ بلاد الله إلى الله ، وأحبّ بلاد الله إليّ ، ولولا أن قومك أخرجوني
ما خرجت ! » ^(١) .

أما وقائع التاريخ فتحدث عن تدمير تيطس لأورشليم سنة ٧٠م ، وتتناول
اصطدامات للرومان مع اليهود سابقة ولاحقة ..

يقول الدكتور حتى : « عومل اليهود منذ عهد بومبي كجماعة متميّزة ، فكانوا
في عهد الأباطرة مُعْفَوْنَ من الخدمة في الجيش ومن الطقوس الواجبة نحو الإمبراطور ،

١ - أحمد والترمذي والواقدي - (روى ذلك فنسك في : مفتاح كنوز السنة).

وكانوا بممارستهم سياسة الانطواء والعزلة يغذون شعورهم القومي ، وأدى هذا إلى اصطدامات اتسعت فأصبحت ثورة قومية بين سنتي ٦٦ ، ٧٠م في عهد نيرون ، وبين سنتي ١٣٢ ، ١٣٤م تحت حكم هادريان. وقد عهد نيرون بمهمة قمع الثورة الأورلى إلى قائده فسباسيان الذي أخضع سنة ٦٧ - ٦٨م منطقة الريف والحصون المنعزلة ودمر يافا وغيرها من المدن ، وحين كان على وشك محاصرة أورشليم توفى نيرون وتولى هو العرش ، فعهد بإنهاء المهمة الحربية إلى ابنة تيطس الذي شدد الحصار على أورشليم خمسة شهور انتهت في أيلول سنة ٧٠م. ويمكننا الحصول على مصير المحاصرين المفجع من وصف ميثاق متبادل بين اليهود تعهدوا فيه بإبادة أنفسهم حين كان الجنود الرومان يفتحون المدينة .. لقد هُدمت المدينة ، وأُحرق المعبد المزخرف الذي بناه هيرودوس ، وقُدِّرَ أنّ مليون يهودي قد هلكوا في هذه الحرب ، وأُجبر كثير من الأسرى بأن يقاتل الواحد الآخر أو يقاتلوا ضد الحيوانات المفترسة ، وهكذا أُضيف فصل روماني في تاريخ تفرّق اليهود إلى الفصول الأشورية الكلدانية ... أما بخصوص الديانة اليهودية ، فقد انحطت بانحطاط أتباعها . ولم يكن أساسها القومي الضيق وبعض مظاهر طقوسها مناسبة لانتشارها ، وفشلت جميع محاولات العلماء اليهود ابتداء من فيلون الإسكندري (زهاء عام ٤٠م) لتقريبها إلى العقلية اليونانية الرومانية . وتعرض اليهود لقصة موت أخرى حين رفع راية الثورة اليهودية من سنة ١٣٢م إلى سنة ١٣٥م قائد غامض يسمى سيمون باركوخيا ، وقد سحق هادريان الثورة وحول أورشليم إلى مستعمرة رومانية باسم Aelia Capitolina ، وأبدل المعبد القديم للإله Jupiter Capitolinus . ويقدر ديو عدد القرى التي دمرت بـ ٩٨٥ قرية ، وعدد القتلى من السكان بـ ٨٥٠٠٠^(١).

١- حتى : تاريخ سوريا ج ٢ - ترجمة حداد ورافق ص ٣٧٥ - ٣٧٧.

وقد أعدّ المسيح تلاميذه للصبر على الأذى : «ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب ، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام ، ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم ! وتُساقون أمام ولاة وملوك من أجلي - شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلّمون ، لأنكم تُعْطَوْنَ في تلك الساعة ما تتكلّمون به - لأن لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم . وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده ، ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي ... ولكن الذي يصبر إلى المنتهى يخلص ، ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى ، فإني الحق أقول لكم : لا تكلمون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان ..

ليس التلميذ أفضل من المعلم ، ولا العبد أفضل من سيده .. إن كانوا قد لقبوا ربّ البيت بعزبول فكم بالحرّي أهل بيته ؟ فلا تخافوهم ، لأن ليس مكتوم لن يستعلن وحقّي لن يعرف . الذي أقوله في الظلمة قولوه في النور ، والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح ! ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدر أن يقتلها ، بل خافوا بالحرّي من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم ... وأما أنتم ، فحتى شعور رءوسكم جميعها محصاة - فلا تخافوا ، فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات .. ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات ...

لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض ! ما جئت لألقي سلاماً ، بل سيفاً !! فإني جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماها ! وأعداء الإنسان أهل بيته ، من أحبّ أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني ... من وجد حياته يُضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها ! من يقبلكم يقبلني ، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني ! من يقبل نبياً باسم

نبي فأجر نبي يأخذ ، ومن يقبل بأراً باسم بار فأجر بار يأخذ » (مت ١٠ : ١٦-٤١ ، مر ٨ : ٣٤-٣٥ ، لو ٩ : ٢٣-٢٤) .

إعداد صريح لجهاد مرير ...

إن العقائد ليست مسألة خوارق ومعجزات تظفر بإعجاب الحاضرين ، ثم يأتي الانقياد والتسليم ... إنها ليست مسرحيات حواة ، إنها تغيير وجهة واختيار قبلة !

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة : ٤٢] ، ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة : ١٦] . ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة : ٢٤] .

إن المسيح لا يُلقِي سلاماً فحسب ، بل سيفاً أيضاً ... فدعوته سيف قاطع يُفَرِّقُ بين الحق والباطل ! دعوته تكشف أستار المرئيين ، وتمتلك حجب الأدعياء ، وتذهب برهبة الظالمين من قلوب المظلومين ، فلا تسكنها إلا خشية الواحد القهار!! ومن الطبيعي أن يثور على هذه الدعوة المراءون والأدعياء ، ومن الطبيعي أن يثور عليها الظلمة والطغاة ... ولسوف تشرع السيوف ضد دعاة المحبة الذين لم يحملوا سيفاً ولا عصاً!! لقد كانت كلمات المسيح وتعاليمه وحدها سيوفاً بواتر

انتصيت لاتقائها سيوف الحديد !!! وقد قدّم يوحنا المعمدان فاتحة التضحيات في الكفاح الدامي كما قدم بشارة الرسالة الجديدة : «وتقدّم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه ، ثم أتوا وأخبروا يسوع . فلما سمع يسوع ، انصرف من هناك في سفينته إلى موضع خلاء منفرداً ... فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن » (مت ١٤ : ١٢-١٣ ، مر ٣٠ : ٦ ، لو ٩ : ١٠-١١) .

وعندما طلبت أم ابني زبدي من المسيح أن يجلس ابناها على جانبيه في ملكوته ، أشار داعية الحب والسلام إلى المصير المحتوم : «فأجاب يسوع وقال : لستما تعلمان ما تطلبان ! أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا؟؟ قال له : نستطيع ! فقال لهما : أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان ... وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعدّ لهم من أبي » (مت ٢٠ : ٢٢-٢٤ ، مر ١٠ : ٣٨-٤٠) !

وترك المسيح لتلاميذه في نبوءاته بشرى الأمل في خلال خطوب المحن : «حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم ، وتكونون مُبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي ، وحينئذ يعثر كثيرون ويبغضون بعضهم بعضاً ، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين .. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى - فهذا يخلص ، ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتي المنتهى » ! «فمتى ساقوكم ليُسلموكم ، فلا تفتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا ، بل مهما أعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا - لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل الروح القدس ! » «لأنني أنا أعطيتكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها ... ولكن شعرة من رءوسكم لا تهلك ، بصبركم اقتنوا أنفسكم » (مت ٢٤ : ٩-١٥ ، مر ١٣ : ٩-١٣ ، لو ٢١ : ١٢-٢٠) .

ولا ينسى المسيح في آخر عهده بالدنيا أن يثبت تلاميذه على طريق الحق ، ويجعل من نفسه سلفاً وقدوة : «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني

قبلكم . لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم ... إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم ... قد كلمتكم بهذا لكيلا تعثروا : سيخرجوكم من المجامع ، بل تأتي ساعة يظن كل من يقتلكم أنه يؤدي خدمة الله ! ... وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني ... لكني أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتاكم المعزي ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذلك يُبَكِّت العالم على خطية ، وعلى برّ ، وعلى دينونة ، « ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب ، روح الحق الذي من عند الأب ينبثق - فهو يشهد لي ، وتشهدون أنتم أيضاً - لأنكم معي في الابتداء » (يو ١٥ : ١٨-٢٧ ، ١٦ : ١-١١) .

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلْجِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدِ ﴿١١٢﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١١٣﴾ مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١١٤﴾ وَبَرُّوْا بِاللَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١١٦﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١١٧﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١١٨﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ

الَّتَابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١١﴾ [إبراهيم: ١١-١٥، ١٨، ٢١، ٢٤-٢٧].

كان لا بد أن تصطرع السيوف مع المنطق والإيمان ...

وصبر المسيح متذرّعاً بمثله الإنسانية الرفيعة: «وإذا واحد من الذين مع يسوع مدّ واستل سيفه، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال له يسوع: رُدّ سيفك إلى مكانه، لأنّ كل الذين يأخذون السيف، بالسيف يهلكون! أتظنّ أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي، فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة، فكيف تكمل الكتب: أنه هكذا ينبغي أن يكون؟؟!» «فقال يسوع لبطرس: اجعل سيفك في الغمد، الكأس التي أعطاني الآب، أنا أشربها!» «وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليميني! فأجاب يسوع وقال: دعوا إليّ هذا - ولمس أذنه وأبرأها» (مت ٢٦: ٥١-٥٤، يو ١٨: ١١، لو ٢٢: ٥٠-٥١).

في تلك اللحظات التاريخية الحاسمة: «جثا على ركبتيه وصلّى، قائلاً: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس! ولكن لئكن لا إرادتي بل إراداتك - وظهر له ملاك من السماء يقوّيه، وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشدّ لاجحة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض» (لو ٢٢: ٤١-٤٤)!!

وقُبِضَ على المسيح بخيانة يهوذا ...

«فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه، أجابه يسوع: أنا كلّمت العالم علانية! أنا علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلّم بشيء. لماذا تسألني أنا؟ أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم، هوذا يعرفون ماذا قلت أنا ...».

«ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية، ودعا يسوع وقال له: أنت ملك اليهود؟؟ ... أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خُدّامي يجاهدون لكي لا أسلم لليهود» (يو ١٨: ١٩-٢١، ٣٣-٣٦)!!

وجرت محاكمة رسول المحبة أمام محفل اليهود من رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ، الذين اجتمعوا في بيت قيافا ليصدروا حكماً بالإعدام - سبق لهم أن أصدروه مرات!!

«على أنّ (قيافا) ، وإن كان هو الرئيس رسمياً ، إلا أنّه كان رئيساً بالاسم .
وأما رئيس الأمة الفعلي فكان (حنان) حماه الحبر الداهية ، الذي وإن عزلته السلطات الرومانية منذ زمن بعيد عن رئاسة الكهنوت - إلا أنّه كان يتمتع بتلك الرئاسة ، وبجميع سلطاته لنفوذه الكبير عند سائر أبناء أمته ، التي أخذ يُيمن على شئونها السياسية والدينية العليا عن طريق أبنائه الخمسة الذين تولّوا من بعده وعلى التتابع رئاسة الكهنوت ، حتى آلت تلك الرياسة إلى قيافا سهره ... وقد وُجّهت الدعوة في هذه المناسبة ولا شك لهؤلاء الأعضاء الذين عُرفوا بمنواؤهم الشديدة وعدائهم السافر ليسوع ، أما الأعضاء الذين كانوا يُحشَى معارضتهم - أمثال الرابي جملئيل والرابي نيقو ذيموس - فلم تُوجَّه إليهم الدعوة لحضور الجلسة الليلية ، بل الغالب أنّها لم تُوجَّه إليهم أيضاً الدعوة لحضور الجلسة الصباحية ، لعدم توفّر الشروط القانونية في كلا الجلستين . فمن هذه الشروط مثلاً : أن لا ينظر في أية دعوى ليلاً ، ولا سيما الدعاوى الجسيمة التي قد يترتب عليها الحكم بالقتل ، وقد جاء في كتاب التلمود : «يصير الحكم لاغياً إذا أصدره السندريم في الليل» ، وأيضاً حكم الإعدام لا يصح إذا صدر في اليوم نفسه الذي نُظرت فيه الدعوى . ومن ذلك يتضح أنّ محاكمة يسوع أمام محفل اليهود الأكبر كانت غير قانونية وباطلة من عدة وجوه : أولاً لأنّ أعضاء هذا المحفل قد اجتمعوا في قصر قيافا في حين أنّ المكان المُعدّ لاجتماعات المحفل هو (قاعة الحجارة المنجوتة) الملاصقة للهيكل ، وقد اجتمعوا في بيت قيافا كما لا يخفى فراراً من إشاعة الخبر قبل إصدار حكمهم المبرم وظهور من يعرقل مؤامرتهم الخسيسة ، ولا سيما أنهم خشوا مضايقة

السلطات الرومانية الحاكمة التي كانت قد حظرت على السندريم منذ أكثر من أربع سنوات إصدار أي حكم بالإعدام - محتفظة بهذا الحق لنفسها» (١).

وإذا كانت المحاكمة باطلاً شكلاً لهذه الأسباب ، فهي باطلاً موضوعاً لأن أساس الاتهام والتجريم هو العجب العجاب !!!

وقد مضى اليهود في مهزلتهم إلى الغاية ، فقال رئيس الكهنة : «لقد جُدَّف ، فما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ ها أنكم قد سمعتم تجديفه ، فماذا ترون ؟؟ أجابوا : إنه يستوجب الموت !!» .

وأصدر اليهود الحكم ، وألقوا على الرومان عبء التنفيذ !!!

وكانوا - كشأنهم - متحرزين مدققين في الطقوس والمراسم : «جاءوا يسوع من عند قيافا إلى دار الولاية - وكان صبح ، ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح !!! ... فخرج بيلاطس إليهم وقال : آية شكاية تقدمون على هذا الإنسان ؟ أجابوا وقالوا له : لو لم يكن فاعل شرّ لما كنا سلمناه إليك ! فقال لهم بيلاطس : خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم ... فقال له اليهود. لا يجوز لنا أن نقتل أحداً !!!؟؟؟» (يو ١٨ : ٢٨-٣١) .

﴿وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (١١٠) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَنْعِسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١١١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١١٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَمُوَافِيهِمْ أُجُورُهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿١١٤﴾ [آل عمران : ٥٤-٥٨].

١- لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠٧ .